

مراتب الأخلاق في الإسلام

المدرس المساعد أحمد عبد الكاظم عبد طلاب

ahmedabdulkazimabdul@gmail.com

المديرية العامة للتربية في محافظة النجف الأشرف

الأستاذ الدكتور محمد كاظم الفتلاوي

mohammedk.alfatlawy@uokufa.edu.iq

جامعة الكوفة - التربية المختلطة

Morals in Islam

Researcher

Ahmed Abdul-Kadhim Abed Tellab

The General Directorate of Education in Najaf Governorate

Prof. Dr. Mohammad Kadhim Al-Fatlawi

University of Kufa - Mixed Education

Abstract:

The content of the research in this study is the levels of morality in the true Islamic Sharia, as this is done by following the noble Qur'anic verses that indicate moral levels, as well as the case with those mentioned in the blessed Sunnah, where each topic is analyzed. Taking into account the words of the infallible (peace be upon him) and providing researchers with all relevant opinions

The research included a number of demands related to moral levels, especially in piety, patience, honesty, loyalty and forgiveness, preceded by an introduction, and the most important results of the research were the following: This is due to the great interest in it on the part of the Book of God Almighty and the hadiths of his Prophet and his guardians

We also find in addition to the fact that the scholars have invested the Qur'anic verses and texts related to this, we see them deduce the sayings of the blessed Sunnah, as well as the sayings of the Companions, and the rest of the scholars to be evidence of what they mention and support their argument

Key word:(Morals, piety, honesty, patience, loyalty, forgiveness)

الخلاصة :

محتوى البحث في هذه الدراسة هو مراتب الأخلاق في الشريعة الإسلامية الحقة، حيث يتم ذلك من خلال تتبع الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على المراتب الأخلاقية، وكذا الحال بالنسبة لما ذكر منها في السنة المباركة، حيث تحليل كل موضوع. ومراعاة كلام المعصوم (عليه السلام) وتزويد الباحثين بكافة الآراء ذات الصلة.

فقد اشتمل البحث على عدد من المطالب متعلقة بالمراتب الأخلاقية ولا سيما في التقوى والصبر والصدق والوفاء والعفو، يسبق ذلك مقدمة، وكان من أهم نتائج البحث ما يأتي: فأظهر البحث أهمية الأخلاق ومن ثم إعادة تحديد مدى اهتمام المسلمين بها والتركيز على مراتبها. وهذا يعود بسبب الاهتمام الكبير بها من قبل كتاب الله عز وجل وأحاديث نبيه وأوليائه.

كما نجد بالإضافة إلى حقيقة أن العلماء استثمروا الآيات والنصوص القرآنية المتعلقة بذلك، فإننا نراهم يستنتجون أقوال السنة المباركة، وأيضاً أقوال الصحابة، وبقية العلماء ليكون ذلك دليلاً على ما يذكرونه ويعضد به حججهم.

الكلمات المفتاحية: (مراتب، أخلاق، تقوى، صدق، صبر، وفاء، عفو)

المقدمة

تحتل الأخلاق مكانة عالية في الإسلام ، يمكن إثباتها بالاندفاع لتبنيها والسعي لتطويرها ، وبأفضل صورة وعمل ، كما تحتل الأخلاق الحميدة جزءاً كبيراً في القرآن الكريم والسنة المباركة، والفطرة السليمة تحث على الأخلاق الفاضلة، فإن الصدق، والوفاء بالعهود، والصبر، تستحق حمد من يقوم بها ، والثناء عليه، وذلك استناداً إلى العقل والتفكير القويم، وأن الكذب، والغدر، والجزع، تستحق ذم صاحبها.

وأبرز أهداف الدراسة هو التعرف على مراتب الأخلاق في الشريعة الإسلامية ولا سيما فيما يتعلق بمراتب التقوى والصدق والصبر والوفاء والعفو لإبراز التراث الأخلاقي في الإسلام ، والوصول إلى المصادر الإسلامية المرتبطة بذلك ، من خلال استقراء المراتب الاخلاقية التي تطرق اليها العلماء.

المطلب الأول: مراتب التقوى

التقوى من أهم المفاهيم الأخلاقية والدينية في الإسلام، ومعناها: وقاية النفس من عصيان أوامر الله تعالى ونواهيه وما يمنع رضاه. والتقوى: هي أداء الواجبات والفرائض وكذلك اجتناب المحرمات ، ومن يلتزم هذه الفرائض كان ممن يحبون الله عز وجل.

للتقوى ثلاث مراتب كما عدّها الإمام الصادق عليه السلام فقال: ((التقوى على ثلاثة أوجه: تقوى بالله وترك الخلاف فضلاً عن الشبهة وهو تقوى خاص الخاص، وتقوى من الله تعالى وهو ترك الشبهات فضلاً عن الحرام وهو تقوى الخاص، وتقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العام..))^(١)، فتكون درجات التقوى حينئذٍ كما يأتي:

١. تقوى العوام: وهو ترك المحرمات خوفاً من العقاب، أي ترك النواهي.

٢. تقوى الخواص: وهو ترك الشبهات -أي التي قد تكون محرمة- فضلاً عن ترك المحرمات، وبذلك إسناد الكمال الى نفس المتقي.

٣. تقوى خواص الخواص: وهو ترك المباحات والشبهات، أو ترك إثبات حضور الآخر.

وقيل: إن مراتب التقوى -التي وردت في القرآن المجيد- مرتبتان هما:

١. مرتبة التقوى: وهي مرتبة يمكن نيلها عندما يطاع الله تعالى ولا يعصى ويخضع له فيما أعطى أو منع بقدر استطاعة كل فرد^(٢)، وهذا هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٣)، أي إنك تتقي الله عز وجل بما كان في استطاعتك من الوسع، فما باستطاعتك أن تقوم به فينبغي أن تقوم به^(٤)، وهذا ما ورد عن الرسول الأعظم -صل الله عليه وآله- أنه قال: ((ذروني ما تركتكم فإنما هلك من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بالشيء فأتوا منه ما استطعتم))^(٥).

٢. مرتبة حق التقوى: وهي أن تجتنب مشاهدة وجود الخلق مع وجود الخالق^(٦)، وهي العبودية التي لا تشوبها هفوة، أو هي الطاعة دون المعصية والشكر دون الكفر، والذكر دون النسيان^(٧)، وهذه المعاني هي المستفادة من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٨)، بمعنى عليكم تقواه حقاً، بأن تقوموا بالواجبات، وتجتنبوا المنهيات^(٩). وقد لحظنا للشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) في معنى قوله "حق تقاته" وجوه يمكن اجمالها في الآتي^(١٠):

أولاً: إن معناه أن يطاع الله عز وجل فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى.

ثانياً: إنه اتقاء كل معاصيه.

ثالثاً: إنه المجاهدة في الله عز وجل، وأن لا تأخذه فيه لومة لائم، وأن يُقام له بالعدل في الخوف والأمن.

إن فضيلة التقوى عديدة المراتب، فلا يمكن أن يتساوى المتقون فيما بينهم، فالذي يتجنب المحرمات ويعمل الواجبات أقل مرتبة من الذي يقوم الى جانب ذلك بفعل المستحبات ويترك المكروهات، وهكذا تتوزع مراتب التقوى لكي يحوز كل ذي حق حقه بعدالة.

المطلب الثاني: مراتب الصدق

الصدق هو قول الحقيقة، وهو فضيلة من الفضائل ويعد من مكارم الأخلاق السامية؛ وهو تقيض الكذب؛ ويوصف الشخص الذي يتحدث بالحقيقة أنه صادق، والله عز وجل يأمر بالصدق ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١١)، فالصدق من مكارم الخلق التي يتباهى بها المؤمنون، وله مراتب عديدة ومتنوعة، منها:

١. الصدق في اللسان: وهذا لا يكون إلا في الأخبار، أو فيما يحتوي الأخبار ونبه عليه، والخبر إما أن يتعلق بالماضي وإما بالمستقبل، وفيه يدخل الوفاء بالوعد، فلا بد للعبد المؤمن أن يحفظ ألفاظه، فلا يتكلم إلا بالصدق، وهذا هو أشهر مراتب الصدق وأظهرها^(١٢)، فلا ينقل المسلم غير الأخبار الصادقة، وهذا يقتضي منه الابتعاد عن الظنون والإشاعات، وقد ورد عن الرسول الأعظم (ﷺ) أنه قال: ((إياكم والظن فإن الظن أكذب الكذب))^(١٣)، وروي عنه كذلك أنه قال: ((كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع))^(١٤).

٢. الصدق في النية والإرادة: ويرجع ذلك إلى الإخلاص، وهو أن لا يكون له دافع في الحركات والسكنات إلا الله عز وجل، وهذا الصدق لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب، وإذا شاب النية شيء لم

تكن صادقة^(١٥)، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾^(١٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطْ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلٍّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١٦)، بمعنى إنهم كانوا يطلبون الكبرياء والسيادة في الدنيا ويأفنون من أن يكونوا تبعاً لغيرهم، فهم طالبون الدنيا، فلذلك حذروا من أن يغتروا بالمتع السريع، وأعلموا بأن وراء ذلك العذاب المستمر، وأنهم بلا شك على الباطل^(١٧).

٣. الصدق في الوفاء بالعزم: أي الجزم على الخير، فإن المرء قد يقدم العزم على عمل محدد، فيقول في ذاته: إن رزقني الله عز وجل تصدقت كذا، أو إن خلصني الله تعالى من تلك المشكلة فعلت كذا، وهكذا^(١٨)، قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾^(١٩)، بمعنى حققوا صدقهم فيما عاهدوا الله عز وجل^(٢٠).

٤. الصدق في الأعمال: بمعنى أن يجتهد المرء حتى لا تدل أفعاله الظاهرة على أمر في باطنه لا يتصف به، وعليه أن يوظف الباطن إلى تصديق الظاهر كالواقف على هيئة الخشوع وقلبه غافل عن الصلاة، فمن نظر إليه رآه قائماً بين يدي الله تعالى، وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي شهوة من شهواته، ولذلك قيل: كم طائف يطوف بالبيت وهو بخراسان، فهذه أعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن إعراباً هو فيه كاذب وليس بصادق^(٢١)، وقد ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: ((.. فإذا أردت أن تعلم أصادق أنت أم كاذب؟ فانظر في قصد معنك، وغور دعواك.. فإذا اعتدل معنك بدعواك، ثبت لك الصدق، وأدنى حد الصدق أن لا يخالف اللسان القلب، ولا القلب اللسان..))^(٢٢).

٥. الصدق في مقامات الدين: وهو أعلى الدرجات، مثل الصبر، والشكر، والخوف، والرجاء، والزهد، والتوكل، والتعظيم، والرضا، والحب،

والتسليم لتقديراته عز وجل، ومن علاماته كتمان الطاعات والمصائب جميعاً (٢٣).

هذه جزء من مراتب الصدق التي يفرضها الدين الإسلامي الحنيف على المسلمين بأن يكونوا مخلصين لله تعالى وللناس ولأنفسهم، والإخلاص هنا يكتمل بالصدق.

المطلب الثالث: مراتب الصبر

يتعلم الفرد الكثير من القيم والأخلاق الفاضلة التي يرغب بها طوال حياته، وأهمها الصبر، والذي هو من محاسن الأخلاق، لأنها سمة يصعب التحلي بها، فيحتاج كل منا إلى التجميل بالصبر، لأن حياة الجميع بالغة الصعوبة، قال تعالى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٤)، لذلك يحث الله تعالى عبده على التحلي بالصبر وجعله إشارة على قوة الإيمان بالله عز وجل، فكلما قل الصبر قل الإيمان، وللصبر درجات كثيرة ومراتب يستحقها المرء نتيجة لضبط نفسه عما تهوى وتكره تلبية منه لرضى الله تعالى ومن هذه المراتب:

فبحسب الشيخ محمد مهدي النراقي (ت: ١٢٠٩هـ) ثلاث مراتب وكالاتي^(٢٥):

١. مرتبة الصبر الحقيقي: ويكون عندما يصبر العبد على ما تكرهه نفسه بترك الشهوات، سواء أكانت المباحة منها أم المحرمة أم المكروهة، وتحمل جهد العبادة، بحيث لا يكون لديه صراع أو تعب أثناء تأديته لهذه الأمور، فعند ذلك يصل إلى مرتبة الصبر الحقيقي، وأما إن كان تحمله مع تكلف وجهد فهنا صبره مجازي.
٢. مرتبة الرضا: هي أعلى من المرتبة السالفة، ويصلها الفرد عندما يصبح الصبر ملكة راسخة لديه، فورد عن النبي الكريم -صل الله عليه وآله-

- أنه قال: ((فإن استطعت أن تعمل لله -عز وجل- بالرضا في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً...))^(٢٦).
٣. مرتبة المحبة: وهذه أعلى من مرتبة الرضا يستحقها المرء عندما يداوم ويحافظ على مرتبة الرضا.
- وإن مرتبة المحبة والرضا والتسليم لله تعالى من أرفع المراتب ، ولا يفوز بهذه المراتب الا الصديقون والمقربون ، والمرتبة الأعلى لا تحصل الا بعد حصول المرتبة التي تقدمتها^(٢٧).
- وورد عن الإمام علي عليه السلام أن الرسول (ﷺ) قال: ((الصبر ثلاثة: صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية...))^(٢٨)، ويمكن بيان هذه المراتب على النحو الآتي:
١. الصبر عند المصيبة: وهو الصبر عندما تحل المصيبة، ولا يحق لأهل المصائب أن يرتكبوا في مراسم العزاء ما يخالف الشرع المقدس، وأن من أصابته مصيبة فليذكر مصائب آل البيت-عليهم السلام-؛ فهي أعظم المصائب^(٢٩)، وقد ورد أن أبا عبد الله الصادق عليه السلام كان يقول عند المصيبة: ((الحمد لله الذي لم يجعل مصيبي في ديني، والحمد لله الذي لو شاء أن يجعل مصيبي أعظم مما كانت، والحمد لله على الأمر الذي شاء أن يكون فكان))^(٣٠)، وهذا التضرع يدل على صبر الإمام عليه السلام فهو يحمد الله عز وجل لصبره على تحمل النوائب.
٢. الصبر على الطاعة: وهو شديد، لأن النفس بميلها تنفر من العبودية، و لذلك قيل: ما من نفس إلا وهي خافية ما اظهره فرعون، ولكن فرعون وجد مجالاً فأظهره ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾^(٣١)، وما من أحد إلا وهو يدعي ذلك مع خدمه وأتباعه، وإن كان ممتنعاً من اظهاره أمام الناس، ولذلك ترى غضبه عند تقصيرهم في خدمته، فإن ذلك ليس إلا من التكبر^(٣٢).

٣. الصبر عن المعصية: وهو الصبر عن الخطايا مثل: الغيبة، والكذب، والرياء، والعجب، فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((الصبر عن الشهوة عفة، وعن الغضب نجدة، وعن المعصية ورع))^(٣٣)، فالعفة خلق رفيع تأتي نتيجة للصبر، وأما الورع فهو نوع من أنواع الصبر، وهو الصبر عن المعصية والقوة والشدة، وهذه القوة في النفس نتيجة من نتائج الصبر^(٣٤).

ومنهم من أضاف مرتبة على مراتب الصبر وهي: الصبر على ما تحبه الذات، أو الصبر عن الركون الى ما يوافق الهوى من الصحة والسلامة، و المال و الجاه و كثرة الأولاد، وكذا سائر ملذات الدنيا، و ما احوج الفرد الى الصبر عن هذه الامور، و تقييد نفسه عن الركون اليها، و الاهتمام القوي فيها، والمؤدي بدوره الى الطغيان^(٣٥)، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: ((الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عما تحب))^(٣٦)، ومن كلام العرب: الصبر على ما تحب أكثر شدة على النفس من الصبر على ما تكره^(٣٧).

سبق أن ذكر أن للصبر عدة مستويات في كتب التربية والأخلاق، وقد ذكرنا بعضها، فمجموعة من العلماء يقسم الصبر على ثلاثة مستويات وهي الصبر الحقيقي، والرضا، ومستوى المحبة، ومنهم من التزم بما جاء عن المعصومين (عليهم السلام) كما ذكرنا، حيث قالوا: إن مراتب الصبر هي: (مواجهة المصيبة بهدوء، والصبر على الطاعة، والصبر على المعصية)، وفرقة منهم أضاف على هذه المراتب أو حصرها في مستويين.

المطلب الرابع: مراتب الوفاء

الوفاء صفة إنسانية وخلقية جميلة، فعندما يحقق المرء هذه الصفة بمشاعره وانفعالاته يكون قد وصل إلى إحدى المراحل التي تصل فيها النفس الإنسانية إلى فضائلها، والوفاء هو من الأخلاق الإسلامية الكريمة، فيجب على

المسلمين الالتزام بها في جميع شؤونهم ومعاملاتهم مع الله وكذا مع الناس، وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٣٨)، والوفاء بالعهد من الأخلاق النبيلة التي تزرع الثقة بين الناس، ويمكن للإنسان من خلالها تحقيق الكمال. وقد ذكر أن لها عدة مراتب منها:

١. أن يفي الإنسان لمن يفي له: وهذا فرض لازم وحق، لا يمكن أن يحول عنه إلا خبيث ليس له أخلاق، ولا خير عنده^(٣٩)، قال تعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ)^(٤٠)، وهو استفهام إنكاري في مقام التعليل، لما ذكر من إحسانه عز وجل عليهم بالجنيتين، وما فيهما من أقسام النعم والآلاء، فيفيد أنه عز وجل يحسن إليهم هذا الاحسان جزاء لإحسانهم بالخشية من مقام ربهم، أو لأنهم قد أحسنوا من خلال تطبيق أوامره واجتناب نواهيه، حيث ما أوتوه من الجنة ونعيمها نتيجة لأعمالهم^(٤١).

فحسن الوفاء بالعهد والعقد لمن يفي لك، أو حسن مواجهة الإحسان بالإحسان، قضية خالدة، وحقيقة ثابتة أبداً، وهذا القانون الأخلاقي لا يمكن أن يتغير على الإطلاق^(٤٢)، وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال في معنى الآية: ((جرت في الكافر والمؤمن والبر والفاجر، ومن صنع إليه معروف فعليه أن يكافئ به... فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء))^(٤٣)، بعبارة أخرى، فإن المبادر إلى الإحسان له فضيلة أجل من راد الإحسان.

٢. الوفاء لمن غدر: وهي مرتبة لا يطبقها إلا مؤمن صلب، واسع الصدر، حر النفس، عظيم الحلم، عظيم الصبر، ماجد الخلق، سالم النية، هذه الصفة حسنة جداً وواجب استعمالها في أي وجه من وجوه معاملات البشر فيما بينهم على أية حال كانت، وروي عن الرسول الأمين -صل الله عليه وآله-: ((وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه))^(٤٤).

ولكن، إذا اعتيدَ من العدو أن يغدر ولا يفِي بأقواله وأيمانه وعهوده ،
فحيثُذ لم يجز الوفاء له ، ووجب أن ينقض عهوده ولا يوقف مع العهد
المعقود بين الطرفين، فإنَّ الوفاء في هذه الحالة ليس بوفاء عند الله عز وجل،
بل هو كالغدر في قُبْحه ، والغدر في هذه الحالة ليس بقبيح ، بل هو في
الحسن كالوفاء لمن يستحقُّ الوفاء عند الله عز وجل^(٤٥)، وهذا هو معنى ما
ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: ((الوفاء لأهل الغدر غدرٌ عند الله،
والغدر بأهل الغدر وفاءٌ عند الله))^(٤٦).

والحاصل: أنه لا يجوز الغدر من أحد بالنسبة إلى الآخر حتى إذا كان مع
الكفار، إلا في موضع معين، ففي الجهاد مع الكفار فلا بأس
حيثُذ بالغدر والحيلة لأجل الغلبة على العدو والخصم ليس إلا^(٤٧).

٣. الوفاء مع اليأس البات: بمعنى بعد حلول المنيا، فإنَّ الوفاء في هذه الحالة
لأعظم وأحسن منه في الحياة ومع رجاء اللقاء، حتى قيل: أن قليل الوفاء
بعد الوفاة خير من كثيره في حال الحياة^(٤٨)، ولذلك روي أن الرسول
الكريم ﷺ قد أكرم عجزاً دخلت عليه فقيل له: ما سبب ذلك
فقال: ((إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان))^(٤٩).

هذه هي مراتب الوفاء، وهناك غيرها من المراتب النبيلة الأخرى،
والمطلوب منا أن نرتقي بأنفسنا لأعلى مراتبه، وعدم الاكتفاء بالمستويات الدنيا
منه.

المطلب الخامس: مراتب العفو

العفو من مكارم الأخلاق السامية، وهو خلقٌ رفيعٌ تحتاجه النفس البشرية
للتخلص من جميع الشوائب، وكذلك لينعم الأفراد بالخير والحب وانفتاح
الصدر، وهو إنما يتحقق بطول صبر وكظم للغضب ، وقد أكد القرآن الكريم
عليه في قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٥٠)، والعفو

صفة يحبها الله عز وجل؛ لأنها تساعد على زيادة المحبة والطمأنينة بين المؤمنين، ومنع الأذى والبغضاء بين الأفراد. وورد أن للعفو ثلاث مراتب وهي كما يأتي:

أولاً: ترك المعاقبة: إن هذه المرتبة هي المعنى الأساس الذي يتبادر إلى الذهن، كما يوحي المعنى الاصطلاحي للعفو فهو باختصار: ترك المؤاخظة بالذنب، والمؤاخظة؛ بمعنى المعاقبة وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(٥١)؛ وأن المراد من العفو؛ ما يتعلق بذنوبهم من جهة الخطأ والنسيان باتباع أوامره تعالى ونحو ذلك. والآية هنا بمعنى لا تعاقبنا أو لا تؤاخذنا بالعقاب^(٥٢).

كما يتضح ذلك من سياق الآيات المباركة والواردة في الحث على العفو، كقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٥٣)، وهذا أمر من الله عز ذكره لنبيه-صل الله عليه وآله- أن يعفو لمن يريد أن يمد إليه من اليهود^(٥٤)، وورد عن الرسول-صل الله عليه وآله- أنه قال: ((أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة))^(٥٥)، حيث أن العفو أكرم حالاتها^(٥٦).

ثانياً: الصفح: وهو إزالة أثر الذنب من النفس أو الابتعاد عن المذنب^(٥٧)، أو هو: ((عفواً من غير عقوبة ولا تعنيف ولا عتب))^(٥٨) كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في معنى قوله عز وجل: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾^(٥٩).

والصفح أبلغ من العفو وأرفع درجة منه، فالعفو ترك عقوبة المذنب، والصفح ترك الشريب والتأنيب، وهو أبلغ من العفو إذ قد يعفو الإنسان ولكنه لا يصفح^(٦٠).

ثالثاً: الإحسان: وهذه المرتبة أعلى مراتب العفو ولقد جاء ذكر هذه المرتبة في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُتُومِ وَالْغَيْظِ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦١﴾، والاحسان هو ((الأتیان بالفعل على وجه حسن بالقتال في مورد القتال، والكف في مورد الكف، والشدة في مورد الشدة، والعفو في مورد العفو)) (٦٢).

قد ورد أنه جنى غلام للإمام الحسين عليه السلام جناية توجب العقاب عليه، فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي والكاظمين الغيظ، قال: (خلوا عنه). فقال: يا مولاي والعافين عن الناس، قال: (قد عفوت عنك)، فقال: يا مولاي والله يحب المحسنين، قال: (أنت حر لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك) (٦٣).

نلاحظ أن الإمام عليه السلام قد طبق قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٦٤)، بمعنى ادفع بالصفة - التي هي أحسن - الصفة السيئة التي تخالفها فادفع بحلمك جهلهم وبعفوك إساءتهم (٦٥).

يظهر الحدث أعلاه ثلاثة مستويات للعفو، من الأدنى إلى الأعلى، ثم أن الأدنى: ترك العقوبة عندما أمر الإمام عليه السلام بعدم معاقبته للغلام، ثم المرتبة الوسطى، وهي مرتبة: الصفح، بعد ذلك تأتي أعلى المراتب وأرفعها وهي الاحسان إلى المسيء.

هوامش البحث

- (١) المجلسي، بحار الأنوار، ٢٩٥/٦٧.
- (٢) ظ: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٤٢٠/٣.
- (٣) سورة التغابن، الآية: ١٦.
- (٤) ظ: تفسير متولي شعراوي (الخواطر)، ١٦٥٨/٣.
- (٥) صحيح مسلم، ١٠٢/٤. صحيح ابن حبان، ٢٠١، ٢٠٠/١. محمد الري شهري، ميزان الحكمة، ١٢١٧/٢.
- (٦) ظ: حيدر الأملي، تفسير المحيط الأعظم، ٢٨٤، ٢٨٣/١.

- (٧) ظ: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٤٢٠/٣.
- (٨) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
- (٩) ظ: أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، ١٦١٤.
- (١٠) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن، ٣٥٦، ٣٥٥/٢.
- (١١) سورة التوبة، الآية: ١١٩.
- (١٢) ظ: الغزالي، إحياء علوم الدين، ١٩٨/١٤.
- (١٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ٥٩١/٢٧.
- (١٤) المجلسي، بحار الأنوار، ١٥٩/٢.
- (١٥) ظ: الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ١٤٣/٨.
- (١٦) سورة هود، الآية: ١٦، ١٥.
- (١٧) ظ: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/١٢.
- (١٨) ظ: محمد مهدي النراقي، جامع السعادات، ٣٤٧/٢.
- (١٩) سورة الاحزاب، الآية: ٢٣.
- (٢٠) ظ: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٢٩٠/١٦.
- (٢١) ظ: عبد الله الجزائري، التحفة السنوية في شرح النخبة المحسنة، ص ٢٠٩.
- (٢٢) المجلسي، بحار الأنوار، ١١١/٦٨.
- (٢٣) ظ: محمد حسن القزويني، كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء، ص ٣٤٠.
- (٢٤) سورة النساء، الآية: ٢٥.
- (٢٥) ظ: جامع السعادات، ٢٨٤/٣.
- (٢٦) الصدوق، الامالي، ص ٥٣٦.
- (٢٧) ظ: محمد حسن القزويني، كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء، ص ٣٥٤.
- (٢٨) الكليني، الكافي، ٩١/٢.
- (٢٩) ظ: ناصر مكارم الشيرازي، المفاتيح الجديدة، ص ٨٢٢.
- (٣٠) الكليني، الكافي، ٢٦٢/٣.
- (٣١) سورة النازعات، الآية: ٢٤.
- (٣٢) ظ: عبد الله المامقاني، مرآة الرشاد، ص ٤٧.
- (٣٣) المحدث النوري، مستدرك الوسائل، ٢٦٣/١١.
- (٣٤) ظ: عيسى أحمد قاسم، محراب التقوى والبصيرة، ١٣٠/٥.
- (٣٥) ظ: الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ١٢١/٧.

- (٣٦) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٤٧٨.
- (٣٧) ظ: الشيخ البهائي، الكشكول، ١٢١٣.
- (٣٨) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.
- (٣٩) ظ: ابن حزم، طوق الحمامة، ص ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥.
- (٤٠) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.
- (٤١) ظ: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١١٠١٩.
- (٤٢) ظ: جعفر السبحاني، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت "عليهم السلام"، ص ٣٢.
- (٤٣) المجلسي، بحار الأنوار، ١٠٥١٨.
- (٤٤) محمد الري شهري، ميزان الحكمة، ٢٢١٣٣. سنن أبي داود، ٢٦٦١٢.
- (٤٥) ظ: عبد الهادي الشريفي، تهذيب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ٥٤٦١٢.
- (٤٦) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٥١٣.
- (٤٧) ظ: محمد مهدي المازندراني، شجرة طوبى، ٢٩٤١٢.
- (٤٨) ظ: الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء، ٣٤٢١٣.
- (٤٩) الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، ١٦١. العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ٨١١٦.
- (٥٠) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
- (٥١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.
- (٥٢) ظ: السيوطي، تفسير الجلالين، ص ٦٤. الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، ٢٢٠١١.
- (٥٣) سورة المائدة، الآية: ١٣.
- (٥٤) ظ: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢١٤١٦.
- (٥٥) الصدوق، معاني الأخبار، ١٩٦١١.
- (٥٦) ظ: ابن معصوم المدني، الطراز الأول، ٣٣١١٢.
- (٥٧) ظ: وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ٢٦٩١١.
- (٥٨) المجلسي، بحار الأنوار، ٣٥٧١٧٥.
- (٥٩) سورة الحجر، الآية: ٨٥.
- (٦٠) ظ: الألوسي، روح المعاني، ٣٥٦١١.
- (٦١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

- (٦٢) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٦٤١٢.
- (٦٣) بهاء الدين الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ٢٤١٢. المجلسي، بحار الأنوار، ١٩٥٤٤.
- (٦٤) سورة فصلت، الآية: ٣٤.
- (٦٥) ظ: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣٩٢١٧.

قائمة المصادر والمراجع

أفضل ما نبتدى به: القرآن الكريم.

- ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٣٥٤هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق، شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م
- ابن حزم الاندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، طوق الحمامة في الألفة والألاف، تحقيق، د. إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، ط٢، ١٩٨٧ م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ م.
- ابن معصوم، علي بن أحمد الحسيني المدني (١١٢٠هـ)، الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤٢٦ هـ.
- أبو داود السجستاني، سليمان، السنن، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار إحياء السنة النبوية.
- الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي (ت: ٦٩٣هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء بيروت، ١٤٠٥هـ.
- البهائي، بهاء الدين محمد بن الحسين العاملي (ت: ١٠٣٠هـ)، الكشكول، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، ط٦، ١٩٨٣ م.
- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، تحقيق، علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- الآمل، السيد حيدر، تفسير المحيى ط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق، محسن الموسوي التبريزي، العهد الثقافي ط٢، د.ت.

- الجزائرى، السيد عبد الله بن السيد نور الدين بن السيد نعمة الله الموسوى (ت: ١١٧٣هـ)، التحفة السنية في شرح النخبة المحسنة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، ط١، د.ت.
- الحاكم النيسابورى، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت: ٤٠٥هـ)، المستدرک على الصحيحين، إشراف، د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة بيروت - لبنان، مصورا عن الطبعة الهندية ١٣٣٥هـ.
- الحائرى المازندراني، الشيخ محمد مهدي (ت: ١٣٦٩هـ)، شجرة طوبى، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، ط٥، ١٣٨٥هـ.
- الحر العاملى، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي، تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، طهران، إسلامية، ١٣٩٢ ش.
- الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي، (ت: ٧٤١هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تصحيح، محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- الرى شهرى، محمد بن إسماعيل المحمدي، ميزان الحكمة، دار الحديث، ط١، ١٤١٦هـ.
- الزحيلي، وهبة بن مصطفى الزحيلي (ت: ١٤٣٦هـ)، التفسير المنير، دار الفكر - دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
- السبحاني، الشيخ جعفر، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت "عليهم السلام"، ترجمة، على الهادي، قم، مؤسسة الإمام الصادق، ١٤٣١م.
- الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، نهج البلاغة، تحقيق، صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، د.ت.
- الشريفى، السيد عبد الهادي، تهذيب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، الناشر: دار الحديث، قم، ١٤٢٦هـ.
- الشيرازي، الشيخ ناصر مكارم، المفاتيح الجديدة، مدرسة الامام على بن ابي طالب (ع)، قم، ١٤٣١هـ.
- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، معاني الاخبار، تحقيق، علي أكبر الغفاري، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٧٩هـ.
- الصدوق، نفسه، الأمالي، تحقيق، قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم، ط١، ١٤١٧هـ.
- الطباطبائي، السيد محمد حسين (ت: ١٤٠٢هـ)، الميزان في تفسير القرآن، مكتب التبليغ الإسلامى التابع لجماعة المدرسين، قم، د.ت.
- الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق وتعليق، لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥ - ١٩٩٥م.

- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت: ٣١٠هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق، الشيخ خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج، صدقي جميل العطار، دار الفكر، ١٤١٥ - ١٩٩٥م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن حمد (ت: ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، د.ت.
- الفيض الكاشاني، الملا محسن، المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين، قم، ١٤١٧ق.
- قاسم، الشيخ عيسى، أحمد، محراب التقوى والبصيرة، دار الفقيه المقاوم، ١٤٣٧هـ.
- القزويني، المولى محمد حسن بن معصوم (ت: ١٢٤٠هـ)، كشف الغطاء عن وجوه مراسم الاهتداء في علم الاخلاق، تحقيق، الشيخ محسن الاحمدي، مؤتمر المولى مهدي النراقي، ط١، د.ت.
- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت: ٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق وتصحيح: علي أكبر غفاري غفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٤، ١٤٠٧هـ.
- المامقاني، عبد الله (ت: ١٣٥١هـ)، مرآة الرشاد في الوصية الى الأحبة والذرية والأولاد، دار الزهراء، بيروت، ١٤١٢هـ.
- متولي شعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، تفسير الشعراوي (الخواطر)، الناشر، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
- المجلسي، محمد باقر (ت: ١١١٠هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار احياء التراث العربي، ط٣، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.
- المحدث النووي، الميرزا حسين الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- المحلى، السيوطي، جلال الدين محمد بن أحمد المحلى (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تفسير الجلالين، تحقيق، مروان سوار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت، د.ت.
- المراغي، أحمد مصطفى (ت: ١٣٧١هـ)، تفسير المراغي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.
- المولى النراقي، محمد مهدي (ت: ١٢٠٩هـ)، جامع السعادات، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٢.
- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري، (ت: ٢٦١هـ)، الجامع الصحيح، دار الفكر، بيروت-لبنان.